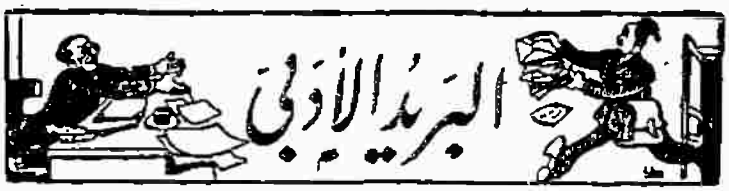

الأب أنستاس مارى الكرملى فى عيد ميلاده

احتفل الشيخ الجليل الأب أنستاس مارى الكرملى فى ٥ آب بعيد ميلاده السادس والسبعين ، منزوياً فى صومعته الهادئة ، منصرفاً إلى العمل الذى وقف عليه حياته

إن سيرة الأب الكرملى مثال حى للفكرة التى تتسلط على ذهن الإنسان فتعلق بشغاف قلبه ، وتغدو جزءاً من أجزاء نفسه ؛ وأية فكرة هذه التى ملكت لب الأب وهيمنت على جوارحه منذ حداثة عهده ؟

هى اللغة العربية ، وأكبر بها فكرةً ينزع إليها العقل ، وتروى عنها النفس ، تراءت له وهو فتى لم يكد يبلغ أشده ، فبهره منها الحسن والسناء ، وقطع لها راضياً عهد المودة والوفاء . وها هو ذا بعد ستين سنة أو تزيد لا يزال وفيّاً بالعهد ، متحمساً للغة الضاد حماسة الشباب الفوّار ، مخلصاً لها إخلاص الشيخوخة المحنكة الحكيمة

كانت اللغة العربية مذ وجدت — ولن تزال — وسيلة للخطاب والتفاهم ، تحمل الأفكار من ذهن إلى ذهن ، وتنقل الأخبار من جيل إلى جيل ، حتى قرّبت بين الناس ، ووصلت بين الأزمنة الغابرة والحاضرة . وإذ أصبحت بعد تهذيب أطرافها وتنميق أسبابها أداة الآداب الرفيعة ، لم تخرج عن كونها وسيلة لا غناء فيها إلا بما اتخذت له من غاية الإفصاح والتبيان . لكن لكلماتها وتراكيبها — مع ذلك — جرساً فى الأذن ، ورسماً على القرطاس حببها أحياناً إلى النفوس ، وقربها من الأذهان بصرف النظر عن مدلولها ومؤداها

ولقد أشار إلى ذلك أناتول فرانس فى كتابه : « الحياة الأدبية » عند الكلام على معجم جديد ظهر فى اللغة الفرنسية ، فقال إن بودلير كان يقرأ معجمات اللغة ويبتهج بقراءتها ، وأن تئوفيل غوتييه كان مولعاً بالكلمات يحبها حباً جماً ، وأن جوزه ماريادى هريديا كان يجهر بأن مطالعة المعجم تستثيره وتدخل على نفسه من اللذة والسرور ما لا تدخله قراءة رواية « الفرسان الثلاثة » . وأضاف أناتول فرانس قائلاً بأسلوبه الساحر : « أما أنا فلا أجد عادة للكلمات معنى يفوق المعنى الذى تجعله لها المصطلحات ، فقد كنت فى أغلب الأوقات أهيم فى معاجم كبيرة كأنها الرياض الملتفة . وسبب ذلك أنى أرى أن الألفاظ إنما هى صور ، وما المعجم اللغوى سوى عالم قد رتب بحسب ترتيب حروف الهجاء . وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة صادقة فإننا نجد أن معجم اللغة إنما هو الكتاب الذى لا يفوقه كتاب ، فإنه يشتمل على التصانيف بأجمعها ، فما عليك إلا أن تستدرجها منه ... وإنى لأشعر فى قلبى بحنوّ عظيم إزاء كل كلمات اللغة . إنى أشعر برأفة كبيرة أمام طائفة التعابير البسيطة والفخمة . إنى أحبها كلها ، فهى تستميلنى وتستفزّنى ، وإنى لأمسّ الكتاب الذى يضمها مساً شديداً يُم على مبلغ تأثرى وارتياحى »

غير أن هذه الوسيلة التى يستعملها الناس فى خطابهم ، ويستعين بها الأدباء فى أداء رسالتهم ، قد أصبحت غاية فى حد ذاتها للعلماء الذين انقطعوا إلى دراستها ، ووقفوا حياتهم على استجلاء غوامضها .

فلا عجب أن نهج لغوينا العربى نهج من سبقه من علماء اللغة الأعلام ، من أبى منصور الأزهرى صاحب التهذيب ، وأبى نصر الجوهرى صاحب الصحاح ، ومجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس ، إلى البستانى ، والشدياق ، والشرتونى ، وسواهم من المحدثين ، وأن ترسّم خطى من سلف من أئمة التدقيق والتحقيق من أمثال جونسن ووبستر ، وأميل لِتره ، فاتخذ من اللغة غاية ما بعدها غاية ، يكب على نقد مفرداتها نقد الصيرفى

وما أشبه لغوينا من بعض الوجوه بزميله الإنكليزى ضموئيل جونسن الذى سبقه بنيف وخمسين ومائة سنة ! ففيرة الأب على اللغة العربية تشبه غيرة جونسن على لغته الإنكليزية ، وأسلوب الأب المتين اللاذع يعدل أسلوب جونسن (وإن يكن هذا الإنكليزى الصميم لم يرض قط أن ينزل إلى ميدان المساجلات والمناظرات بالرغم عن الحملات التى كثيراً ما حملت عليه) ومجلس الأب شبيه بالمنتدى الأدبى الذى أنشأه الدكتور جونسن

وصحبه وحضره مؤرخه بُوزُول، فسجل مباحثاته ومداولاته .

ومقام لغويتنا العراق بين أقطاب العربية معروف مرموق ، وجهاده فى سبيل الفصحى مرئىّ مسموع ، ورأيه فى التمسك بأهدابها مقبول متبوع . ولنا عليه أن يكلل مساعيه الموفقة فى خدمة اللغة الشريفة بإخراج معجمه الكبير الذى وسمه « بالمساعد » ، فيتفرغ لإنجازه وتنقيحه وتبييضه ، فهو عصارة سعيه وخلاصة جهده .

(بغداد) مير بصرى

« سعد زغلول من أقضيته »(*)

لم يكن الأستاذ عبده حسن الزيات ينتظر أن أكتب كلمة عن كتابه الجديد « سعد زغلول من أقضيته » ، لأنه يعرف أنى فرطت فى التنويه بمؤلفاته وأبحاثه التى ظهرت من قبل ، وإن كان يعرف مع ذلك أن ثقتى بفضله وكفايته لا تحتاج إلى دليل

الكتاب يُعرَف من عنوانه ، كما يقال ، وعنوان هذا الكتاب غاية فى الدقة والتحديد ؛ ومن غريب ما وقع لهذا العنوان أن الخطاط الذى كتبه — وهو حسنى — قد استطاع أن يبرزه فى أبهى حلة من حلل الجمال ، مع أنه يقع فى أربع كلمات يصعب الربط بينهما برباط الانسجام والاتساق ؛ وما أذكر أنى رأيت الكتاب معروضاً فى أية مكتبة ، إلا وقفت أمتع ذوقى بخط العنوان . فإلى « حسنى » الخطاط تحية خالصة لا يشوبها غير الحرص على إعزاز الفن الجميل

ثم أتحدث عن الكتاب بإيجاز ، فأذكر أنه من أقوى الشواهد على حصافة المؤلف ، وعلى مبلغ فهمه للدراسات الجدية ، وعلى أنه جدير بثقة الذين كرّموه عند ظهور هذا الكتاب النفيس

وأذكر أيضاً أننى ما تحدثت عن الأستاذ عبده حسن الزيات إلا وصفته بصدق الوطنية ، فهو عندى من الشبان النوادر الذين يفهمون الوطنية على وجهها السليم ، وقد جاء كتابه تأييداً لهذا الوصف : فهو خدمة صادقة لمصر ، ممثلة فى إبراز جوانب من الفقه والعدل عند أفراد من رجال القضاء ، على رأسهم « سعد » ، وهذه الخدمة تؤكد ما أشرنا إليه غير مرة من أن رجال القانون فى مصر جعلوا لمصر المقام الأول بين الأمم الإسلامية فى شرح القوانين باللغة العربية ؛ ولو أن الأقدار كانت بخلت بأن يظفر « سعد زغلول » بذلك المجد الضخم ، المجد الوطنى والسياسى ، ثم جاء كتاب الزيات يحدد نفسيته وعقليته من أقضيته ، لكان كافياً فى جعل « سعد » من أعاظم الرجال

هذا الكتاب جيد جداً ، فليس من الإسراف أن نرجو عميد كلية الحقوق أن يؤلف لجنة تنظر فيه ، تمهيداً لمنح المؤلف درجة جامعية ، وإغراء لأمثاله من الشبان بالتعمق والاستقصاء

وإذا كانت « ذكرى سعد » هى التى حدت المؤلف فى بعض السنين الماضية على التفكير فى موضوع كتابه الجليل ، فأنا أرجو أن تكون كلمتى عن كتابه فنّا من الاحتفال بذكرى « سعد » ، سعد القاضى على أعدل ما تكون فكرة القضاء

فإن لم يكن بدٌّ من النص على السرّ فى التوفيق الذى يحالف الأستاذ عبده حسن الزيات ، فأنا أرجح أنه يرجع إلى البر بالوالدين ، كتب الله له دوام التوفيق ... والسلام

زكى مبارك

تصحيح

نشرت « الرسالة » فى العدد (٤٧٥) كلمة للأستاذ الفاضل حسين الظريفى عن بيت حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى فى حب مصر كثيرة العشاق

جاء فيها « على أن فى البيت غلطة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهى إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة ، وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة ، وبذلك ينكسر الوزن ، وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجمة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً » ا . هـ

أقول : وهذه غفلة عجيبة فإن (كثيرة) تصلح أن تكون حالاً وأن تكون صفة ، فإذا كانت حالاً فهى حال من مصر ، والعامل فيها ليس يكابد كما توهم الكاتب ؛ بل هو لفظ (حب)

(*) كتاب فى ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسط ، وفى الورق المعروف من « مطبعة الرسالة »

المضاف ؛ والمعنى يكابد العشاق فى حب مصر حال كونها كثيرة العشاق أى حبهم لها فى هذه الحال

وعلى أنها صفة تجرى على الرأى القائل إن إضافة الصفة المشبهة محضة أى إضافة معرفة ، وعلى ذلك فكثيرة معرفة

علي محمد حسن

فى الشعر التمثيلى

كتب الأستاذ البشبيشى فى العدد ٤٧٣ من الرسالة يقول : (فقد رأيت أن الشاعر البدوى الجليل عبد المطلب كان قد عالج الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن واستوفى أوصاف الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب عدة روايات شعرية تمثيلية ... وبذلك ينفرد وحده بفضل السبق فى هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبى ، فقد افترع هذا اللون من الشعر الروائى افتراعاً) وكل ذلك لم يكن ؛ فعبد المطلب وإن عالج الشعر التمثيلى ومشى فيه خطوات لا تحمد ولا تذم ، لم يكن السابق ولا المفترع ، وإن كان له فضل الاستجابة السريعة لتلك الموجة الجديدة بين شطآن أدبنا العربى الحديث ؛ وإنما السابق إلى ذلك ، الشاعر خليل اليازجى كما يحدثنا أستاذنا المرحوم محمود مصطفى فى الجزء الثالث من أدبه العربى حيث يقول ص ٤١٣ (وعلى ذكر روايات شوقى التمثيلية نذكر أن أول من حاول جعل الرواية العربية كلها شعراً هو المرحوم الشيخ خليل اليازجى فى رواية « المروءة والوفاء » وقد مثلت فى الشام ، ويذكر المرحوم جورجى زيدان أنه شاهدها فى بيروت ١٨٧٨ م) ولا شك أن حادثة كهذه بلقاء فى الأدب قد وصلت إلى سمع الشيخ عبد المطلب ، وعلى فرض أنها لم تصل إلى سمعه فقد ملأ الشعر التمثيلى فى القرن التاسع عشر أرجاء أوربا ، هذه واحدة ؛ أما الثانية فعبد المطلب على فضله لم يستكمل شرائط الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء . فهذا القول أقرب إلى الغلو منه إلى أى شىء آخر ؛ فشعر عبد المطلب فى هذا الباب لا يصح أن يذكر بجانب شوقى وخوله . فهما وإن اشتركا فى الجنس فقد اختلفا فى النوع أيما اختلاف ، وإنك لن تستطيع أن تم قراءة تمثيلية لعبد المطلب إلا بعد حمل على النفس وإعنات لها وإجهاد . حاشا شوقى فإنه يطير بك فلا تشعر أن لعقلك أو لقلبك منازعة معه ، وإنما هى الفحولة الشعرية تفرض عليك أن تطير معها حيثما تطير

عبد الرحمن عيسى
خريج كلية اللغة العربية

من نوادر الخواطر

كتب « قاف » فى العدد ١٨٨ من الثقافة تحت عنوان « شخصية العامل وعمله » ما يلى :

تعودنا منذ قريب أن نقول كلما عرضنا للحديث عن شخص من رجالنا العاملين ، وحاولنا الموازنة بين عمله وبعض شئونه الخاصة — تعودنا أن نقول معتذرين من بعض سلوكه « هذه مسائل شخصية »

وهو يضرب لذلك الأمثلة ثم يقول : « مستحيل أن يكون الرجل رجلين : رجلاً فى الشارع والبيت ، ورجلاً فى الديوان . إن الرجل الذى هنا هو الرجل الذى هناك وإن اختلف الزى والشارة .

فهل يعلم « قاف » أن هذه الفكرة ذاتها قد وردت فى مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف تحت عنوان « مقتول يبكى على قاتله » فى العدد ٣٧١ من « الرسالة » الصادر فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ حيث قال الأستاذ :

إن هذا التفريق بين السلوك السياسى والسلوك الروحى قد صار أمره عجباً من أعاجيب الحياة الأوربية ! وقد بات خطراً على الحياة الإنسانية الشخصية ، لأنه تسرب إلى موازين الحكم على الأفراد ، فهم يحترمون الذكى ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً مفسداً ويقولون هناك حياة خاصة يحل للانسان فيها ما يحرم عليه فى الحياة العامة حتى تعددت الشخصيات . ثم يقول بعد ذلك : هذا كذب وتدليس على الطبيعة كما أرادها الله فاحذروه ، « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » إلى آخر المقالة

فهل يرى « قاف » أن هذا من توافق الخاطر ؟

أحمد حسن الزيات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)